المنطقة الأوراسية في القرن السادس الميلادي من خلال المصادر

د.عقون محمد العربي
قسم التاريخ والآثار
جامعة قسنطينة

ملخص

بعد الخراب والفوضى اللذين تسبّبت فيهما الغارة الوندالية (429-439) أخذت القوى التقليدية في أفريقيا القديمة تسترجع نظمها واستقرارها، ولكن ما لبثت أن فاجأها غزاة جدد: البيزنطيون، الذين جاءوا لتحقيق ما يسمّونه: الاسترداد.

في هذا المقال وعلى ضوء نصّ المؤرّخ البيزنطي بروكوب وهو مصدر أساسي، نحاول دراسة الوضع الذي كانت تعيشه إحدى مناطق البلاد (أوراس) التي ما كادت تخرج من احتلال حتّى وجدت نفسها مرّة أخرى أمام غاز جديد.

Résumé :

Après la destruction et l'anarchie causées par l'incursion vandale (429-439), les forces traditionnelles en Afrique ancienne commencent à peine, de récupérer la stabilité et les institutions de leurs sociétés, à ce moment-là, le pays doit s'opposer à de nouveaux envahisseurs : les Byzantins, qui viennent de faire leur "reconquesta".

Dans cet article nous essayons -à la lumière de récit de Procope- d'étudier la situation que vive l'une des régions d'un pays (Aurès), qui -à peine, sortant d'une occupation- se trouve une fois encore devant un nouveau envahisseur!.

مقدّمة:

إذا كانت الكتلة الجبلية الواقعة بين جبل ششّار شرقا وجبال بلّزمة غربا هي التي تُظهرها الأطالس الحديثة باسم أوراس، فإنّ مدلول هذه التسمية في الجغرافيا التاريخية أوسع من تلك الرقعة الجغرافية، والواقع أنّ هذه الكتلة الجبلية هي نواة لمنطقة أوسع تمتدّ من تبسّة شرقا إلى مسيلة غربا وتضمّ في أوديتها وأطرافها الجنوبية عددا معتبرا من الواحات، ويبدو لنا في هذا السياق أنّ تسمية أوراس أريد لها أن تبقى متأرجحة بين المدلول الإثني والجغرافي إلى درجة أنّ التقطيع الإداري الاستعماري الفرنسي اختصرها في إقليم بلدية مختلطة.

ظهر اسم أوراس(Aurès) في الأدب الإغريقي- اللاّتيني لأوّل مرّة، في نصّ الحرب الوندالية [1] ودخل ساحة الكتابة، ولو أنّه جاء متأخّرا، إلاّ أنّه سيكون ذا أهمّية في الأحداث التي تلت، فلقد أخذ هذا الجبل وسكّانه شخصية وخصائص تتطلّب تحليلا دقيقا لنصّ المؤرّخ بروكوب (Procope) [2] .

القرن السادس في أفريقيا هو قرن الحملة البيزنطية التي كان شعارها "استرداد" أفريقيا من الهراطقة الوندال، وقد ألقى وصول البيزنطيين إلى المقاطعات التي كانت جزءا من الإمبراطورية الرومانية في أفريقيا ضوءا غير معتاد على هذه البلاد، وذلك من خلال نصوص بروكوب وكوريب [3] (Corippe) فلقد توسّع نصّ بروكوب مثلا ليمتدّ إلى جوانب أوسع من مجرّد الحديث عن "الاسترداد"(Reconquête) البيزنطي، ولكي نتحصّل في هذا الباب على شيء من الاستنتاجات الجديدة، ينبغي بعض من الجرأة، وخاصّة بعد العديد من الدراسات العلمية التي كانت نصوص بروكوب مادّتها الأساسية [4].

إنّ الموضوع الذي نحن بصدده هو اقتراح قراءة جديدة أو بالأحرى قراءة فيما يتعلّق بنوميديا الجنوبية، في كتابات هذا المؤرّخ البيزنطي، وخاصّة ما يتعلّق بإقليم الأوراس، لدعم أو دحض استنتاجاته وكذلك استنتاجات المؤرّخين المعاصرين، التي تتّفق على أنّ المور(Maures)[5] لم تكن لديهم المقدرة العسكرية والإستراتيجية على مواجهة الحركة البيزنطية التي تهدف إلى إقرار نظام استعماري.

جغرافية المنطقة الأوراسية حسب نصّ بروكوب

في نصّ بروكوب، تبدو معالم التاريخ والجغرافيا غير واضحة، بل تفتقر في كثير من الأحيان إلى التحديد الدقيق، ومثال على ذلك؛ مصطلح: ليبيا، التي يعتبرها

- كغيره من المؤرّخين القدامى- مجموع التراب الأفريقي وأحيانا يدلّ المصطلح على القسم الشمالي للقارّة فقط، ويأخذ المصطلح مدلولا أضيق عندما يقصد به بروكوب المناطق التي احتلّها البيزنطيون لا غير، ففي نظره أنّ مجموع ليبيا كان يشغله المور، وهو شعب أصله من آسيا الصغرى[6]، أجلاه الرومان إلى ما وراء الحدود، لكن الاضطرابات التي سبّبها الغزو الوندالي ساعدت المور على استرداد عدّة أقاليم اغتصبها الرومان منهم، في حركة تشبه المدّ والجزر، وفي أثناء ذلك اصطدم الاسترداد البيزنطي بضراوة بهُذه "الأمم المورية" إذ أنّ الحرب الوندالية التي خاضها يوستينيانوس في جزء منها ما هي إلاّ حرب ضدّ المور بقيادة ملوكهم: أنطالاس (Antalas) الذي كان يحكم المزاق (Byzacène) وماسوناس (Massonas) الذي كان على رأس موريتانيا، ويوضاس (Iaudas) زعيم المور في المنطقة الأوراسية.

يقول بروكوب:" ... تقع الجبال الأوراسية في نوميديا، على بعد تسعة أيام من قرطاج، وهي الأوسع والأكثر علوّا - حسب معرفتنا- ولا بدّ في تقديرنا من ثلاثة أيام للتمكّن من الالتفاف حولها، ويبدو عند الاقتراب منها أنّها جبال ممتنعة، وللتوغّل داخلها لا بدّ من الدخول عبر الأودية والخوانق، ولكن بعد تجاوز تلك الأودية والوصول إلى القمم نكتشف سهولا ذات تربة خصبة ومسالك سهلة ومراعي جيّدة وحدائق غنّاء، وأراضي فلاحية واسعة وينابيع متدفقة، ذات مياه صافية تجري عبر أودية متعرّجة، والأغرب هو زراعة القموح والأشجار المثمرة،وغلالها أجود ممّا ينتج في عموم ليبيا، وتوجد قلاع يحتمي بها عند الضرورة ولكنّها مهجورة الآن،استغنى عنها الأهالي،لانتشار السلم، فمنذ طرد الوندال لم يجرؤ أيّ عدوّ على الدخول إلى المنطقة[7] ".يضيف بروكوب: "... يمتلك المور شمال وشمال- شرقي الجبال الأوراسية أراض خصبة، وخلف هذه الجبال غربا يوجد مور آخرون يقودهم ملكهم أورثاياس (Orthaïas) الذي تحالف مع البيزنطيين والرومان، وخلف إقليم مملكة هذا الزعيم توجد صحراء خالية من السكّان، وخلف تلك الصحراء يعيش أناس ليسوا سمرا كالمور ولكنّهم ذوو بشرة بيضاء وشعر أشقر "[8].

نستخلص من نصّ بروكوب أنّه لم يطأ بقدميه إقليم جبل أوراس إطلاقا، وأنّه سجّل عن هذا الإقليم ما سمعه أو تلقاه بطرق مختلفة من آخرين، حديثي عهد بالنزول في البرّ الأفريقي، ولهذا فإنّ معرفتهم بالبلاد كانت سطحية، وقد لاحظ عديد من الباحثين الطابع الأدبي الذي لا يخلو من المبالغة في موضوع "فردوس مجهول في أعماق جبال ساحرة" وهي نعوت انطباعية، تغلّف الواقع بغطاء يحجب الحقيقة،

غير أننا نستطيع من خلالها فهم الحقيقة كما تلقاها هذا المؤرّخ البيزنطي فساهمت في تكوين نظرته إلى الموضوع.

أشار كريستيان كورتوا أنّ بروكوب كعادته، يمزج بين الخصوصي والعامّ، فهو يطلق اسم أوراس على قمّة من الصعب التعرّف عليها (لعلّها جبل أوراس Aourès غربي خنشلة)، وعلى كتلة من الجبال أوسع توجد ضمنها هذه القمّة، ونستخلص من الخلط في أسماء الأماكن أنّ معلومات الكاتب ليست من الميدان،لأنّ أيّ رحّالة لا يمكن أن يقع في هذا الخلط،خاصّة وأنّ الالتفاف حول الكتلة الأوراسية يتطلّب ثلاثة أيام على الأقلّ،وأكثر من هذا يقع في خلط كبير في تحديد الأقاليم الجغرافية والإدارية ممّا يجعل تحديد المواقع التي يتحدّث عنها أمرا صعبا[9]

إنّ اللوحة التي رسمها بروكوب للمنطقة الأوراسية فيها الكثير من المبالغات، وتعكس انطباع رحّالة يرى هذه الجبال لأول مرّة، فهي أهمّ كتلة جبلية في الجنوب النوميدي، وعندما نسير بموازاته شمالا:شرق-غرب مثلما فعل البيزنطيون نلاحظ أنّه يمثّل فضاء متجهّما، وباستثناء بعض الأودية، أهمّها وادي تاقة (Oued Taga) فإنّ خطّ جريان المياه يأخذ اتجاه جنوبي-غربي، في أودية تنتهي في رمال الصحراء حيث تغيب مياهها بعد أن تكون قد اجتازت خوانق على امتداد مجرى تتعاقب فيه الأحوال المناخية وأشكال الغطاء النباتي من غابات الأرز في شلية إلى بساتين النخيل في مشونش.

في هذه الظروف تتمتّع أعماق الأودية بريّ وافر، تقام عليه زراعة توفر غلالا متنوّعة ومنتظمة، أمّا السفوح الشمالية فتتلقى كمّيات من الأمطار تكفي لتكوين غطاء نباتي وعشب دائم يكفي لتربية الماشية، وهذه الوضعية في أعماق الأودية وفي السفوح الشمالية في البلاد الأوراسية بالغ بروكوب في تعميمها على سائر الإقليم بينما الحقيقة غير ذلك لأنّ الأودية تقطع مناطق جبلية واسعة تغطيها في أحسن الحالات أشجار غابية.

أشار بروكوب إلى وعورة الطبيعة الجبلية التي وقفت في وجه حملتي 535 و539 ومعاناتها من شحّ مياه الشرب، وهذا التناقض بين أودية خصبة، وأعالي هضاب وقمم جبال مجرّدة من الحياة النباتية هي ظاهرة تتكرّر في كلّ المناطق الجبلية، وتبرز بشكل أكثر قسوة في المنطقة الأوراسية، فقد حصّنت الظروف المناخية وظواهر التعرية والانجراف هذه المنطقة واستعان السكّان بهذه الطبيعة فجعلوا بلادهم غير قابلة للاختراق، خاصّة القلاع والملاجئ الطبيعية التي ذكرها بروكوب والتي لم نتمكّن إلى الآن من تحديد مواقعها بدقة مثل تومار[10](Toumar)

التي ذكر بأنها تقع وسط الجبال وتتزوّد بالمياه من واد غزير قربها، وبابوسيس [11] (Babôsis) عند سفح جبل، وزربولة[12] (Zerboulè) التي رمّمها الملك الأهلي يوضاس [13] وفيها صخرة جمنة(Geminianus) التي لقبها القدامى بعشّ النسر.

تمثّل المنطقة الأوراسية – كما ذكر بروكوب– ثلاثة مجالات متتالية متكاملة، وتبدو في الوهلة الأولى متجهّمة كأنها تعلن رفضها للأجنبي ولكن الذي يقترب منها بمحبّة يجدها ذات طبيعة ساحرة، أمّا في مواجهة العدو الغازي فتوفّر لسكّانها بقلاعها كلّ وسائل الدفاع والحماية.

أثر الحملة البيزنطية على المنطقة الأوراسية حسب نصّ بروكوب:

تبدو صورة "الشعب" الأوراسي متوافقة تماما مع ملامح هذه الجبال ويقول بروكوب في هذا السياق "... إنّ المور يعادون غزاة بلادهم إلى درجة أنّهم مستعدّون لمحو المدن الواقعة أسفل سفوح جبالهم حتّى لا تغري تلك المدن أولئك الغزاة بالاستقرار فيها.[14] "، والجميع يعلم أنّ العمران تدهور في القرنين السادس والسابع في مدن كانت ذات شهرة واسعة مثل لمبايسيس، تيمقاد وبغاي، غير أنّ الأركيولوجيا لا تثبت ما ذهب إليه البعض من أنّ المور كانوا وراء خراب هذه المدن، فهناك طروحات أخرى أهمّها التركيز على التدهور الاجتماعي الاقتصادي والسياسي الذي أصاب الإمبراطورية الرومانية في عهودها المتأخّرة، وذلك كاف لتفسير انحطاط الحياة الحضرية في هذه المنطقة، وتثبيتا لهذه الأطروحة نستخلص من بروكوب دليلا آخر على أنّ المور ليسوا وراء ذلك الخراب، إذ يقول بأنّ المور الأوراسيين يفلحون أراضي سفوح الجبال، ودلّت حملة صولومون (Solomon) على أنّ السكّان وسّعوا نشاطهم الفلاحي في السهول المجاورة للجبال الأوراسية شمالا وأنّ الحملة البيزنطية أجبرتهم على الانسحاب من تلك السهول نحو الجبال للاحتماء بها، وأنّ جيش الحملة البيزنطية نهب الغلال ودمّر المزروعات، ونستنتج من هذا بأنّ الأوراسيين حققوا تكامل السهل والجبل ولكن المدن الرومانية كانت هي المستفيد من الثروة التي صنعها أولئك الجبليون لأنّها كانت سوقا لمنتجاتهم[15] .

يضيف بروكوب أنّه إذا كان اقتحام الجبال الأوراسية يبدو صعبا فإنّ ذلك يمكن أن يكون عبر الأودية، مع استعمال "سياسة الأرض المحروقة"، وقد قامت الحملة البيزنطية بذلك في واقع الحال عندما أقدمت على قطع الأشجار وحرق المزروعات وتدمير قنوات الريّ ممّا أجبر الأوراسيين على الجلاء من أراضيهم

السهلية والاعتصام بقمم الجبال التي تحميهم في أشخاصهم بعد أن خسروا ممتلكاتهم في السهول التي تمثّل موردا ضروريا لهؤلاء الجبليين[16].

لقد نهب البيزنطيون -إذن بقيادة سولومون-، السهول المجاورة للجبال الأوراسية، ليس لإشباع جشعهم فحسب بل لحرمان هؤلاء الجبليين من مواردهم التي تمكّنهم من استعادة قواهم، ومع ذلك فإنّ هؤلاء الجبليين ليسوا منقطعين في جبالهم في تلك البلاد الموحشة بل كانت لهم إرادة سياسية تنظر بعين"الوطنية"لاسترجاع ممتلكاتهم وأقاليمهم التي كان الرومان قد استولوا عليها، ولذلك ما إن أحسّوا بضعف الإمبراطورية الرومانية حتّى نزلوا من معاقلهم الجبلية، واقتحموا المدن التي كانت مركز الاحتلال الروماني، فهؤلاء الجبليون لسيوا بالوحشية التي ينعتهم بها بروكوب ولا بالسذاجة التي في مخيّلة قرّائه، وعندما يتحدّث بروكوب عن مور متوحّشين فلعلّه يقصد أقواما جددا من ارحّل حديثي عهد بالاستقرار تدققوا على المنطقة من وراء الليمس، أمّا السكّان الذين عايشوا الحضارة الرومانية لقرون داخل خطّ الليمس فلا ريب أنّهم أخذوا قدرا هامّا من المدنيّة، ولا يمكن نعتهم بالوحشية ويذكر بروكوب أيضا أنّ قادة المور ردّوا على سولومون عندما اتّهمهم بخرق الاتّفاقيات وأنّ صاعقة من السماء ستنزل بهم بـــ : "أنّ أعداء الله ليسوا أولئك الذين يقاومون لاسترداد ممتلكاتهم،بل هم أولئك الذين اختاروا الحرب للاستيلاء على ممتلكات الآخرين " [17] .

الوضع الاجتماعي الاقتصادي في المنطقة الأوراسية:

يمكن أن نشير هنا فيما يتعلّق بمستوى التحضّر عند السكّان الأوراسيين إلى تحكّمهم في تقنيات استغلال المياه، بل استعملوا المياه في إغراق الجيش البيزنطي [18] وأنّهم أحسنوا استغلال مياه وادي أبيقاس[19]، وقد وجد الأثريون في السهول العديد من القنوات لتوزيع مياه الريّ، وهذه القنوات تغيب تحت الأرض ثمّ تظهر في أماكن أخرى ولعلّ ذلك لحمايتها من التبخّر أو من أعمال التخريب، وهذه كلّها ليست أعمال حديثي عهد بالاستقرار.

في هذه المنطقة الجافّة، كانت الفلاحة الأوراسية مرتبطة بمياه الريّ حسب قواعد دقيقة، ممّا يفترض وجود هيئة سياسية محلية، للإشراف على تنظيم وتوزيع مياه السقي وفي هذا المجال لا يذكر بروكوب شيئا، وما ذكره عن الحياة الاجتماعية في جبال بابوا(Papua) لا يفيدنا في شيء[20].

تقبّل جيروم كاركوبينو وكريستيان كورتوا فكرة وجود سلالات وأسر حاكمة في البلاد الأوراسية لأنّ ماسوناس وهو زعيم موري وحليف للبيزنطيين أراد الانتقام لمقتل والده مفانياس(Mephanias) من طرف يوضاس، ولكن لا توجد لدينا شواهد على أنّ مفانياس هذا كان ملكا أو أنّ ماسوناس ورث عنه الملك.

كان لدى الشعوب المورية وخاصّة شعب يوضاس ظاهرة تعدّد الزوجات ويذكر نصّ بروكوب بأنّ يوضاس كان له بمعقله في صخرة جمنة (Petra Geminiani) ثرواته النفيسة: زوجاته وأمواله، ولعلّ تعدّد الزوجات هذا لم يكن امتيازا ملكيا لأنّ صولومون وهو يلوم المور على تقديم أبنائهم رهائن لأنّ في ذلك خطرا عليهم، ردّوا عليه بأنّ مشكل الأبناء هو مشكلكم، لأنكم لا تستطيعون الزواج إلاّ من واحدة، أمّا نحن فيتزوّج الفرد منّا حتّى الخمسين امرأة، وعليه فإنّ مصدر الأبناء لا ينضب [21].

يمكن أن نستخلص من فكرة تعدّد الزوجات التي أوردها النصّ، الإيحاء بأنّ المور الذين يقاومون البيزنطيين ليسوا مسيحيين، وكأنّ النصّ بهذا الإيحاء يعطي للحملة البيزنطية صفة الحرب "الصليبية" [وهي فكرة استفاض فيها كوريب] ومع أنّ بعض القبائل المورية وصلتها بعض المؤثّرات المسيحية، غير أنّ بعضها الآخر كان دون ريب على وثنيته، لكننا لم نتمكّن من وضع القبائل الأوراسية لا في هذه ولا في تلك[22].

تبيّن النقيشة التي اكتشفت في آرّيس وجود زعيم موري اسمه ماستياس (Mastiès)، ولأنّه كان مسيحيا فإنّ كاركوبينو وكورتوا في طروحاتهما انطلقا من دمج استمرار التديّن بالمسيحية بفكرة الوفاء لروما، وجعلا من توسّع الممالك الأهلية إحياء لحضارة روما، واعتبرا "ممالك" الجهات الشرقية والوسطى والغربية من المنطقة الأوراسية تجسيدا لذلك[23].

يوحي نصّ بروكوب بأنّ المسيحية كانت وراء تحالف الملكين ماسوناس وأورثاياس مع البيزنطيين ضدّ خصميهما يوضاس ملك المور الأوراسيين وأنطالاس المتمرّد الذي لا يقهر في إقليم المزاق(Byzacène) هذا الزعيم العنيد تحصّن في منطقة جبلية وليبقى مستقلاً في ذلك الإقليم كان على أتمّ الاستعداد للحرب وللتحالف وقد استقبل في معقله الجبلي جميع المعادين للبيزنطيين من أشتات الوندال والمنهزمين المور، واستفاد منهم في رفع عدد جنده والحصول على خبرات عسكرية، ولكن لا نكاد نعرف شيئا عن سياسته وأسلوبه في الحكم ولا حدود

مملكته، وقد تشتّت العدد الأكبر من جيشه خلال حملة 539 م. في بابوسيس باتّجاه جنوبي المنطقة الأوراسية وباتّجاه موريتانيا[24].

على العكس من أنطالاس، كانت ليوضاس استراتيجية واضحة، وهي أن يظهر في أرض مكشوفة ثمّ ينسحب نحو الجبال ليستدرج صولومون إلى طبيعة ملائمة جدّا لحرب الكمائن، والحصار المفاجئ للإجهاز عليه، وهي الاستراتيجية التي نجح فيها خلال تصدّيه لحملة 535، وفي عمليات عسكرية كهذه ليس عدد المحاربين مهمّا بل على العكس يكون العدد الكبير من الجند عبئا كبيرا في التموين وعلى الخصوص في تلك البلاد الجافة والصعبة، لكن سولومون هذه المرّة استفاد من هزيمته السابقة، وقرّر أن يدمّر المحاصيل، وألاّ يصطحب معه في حرب الجبال إلاّ عددا محدودا من ذوي الخبرة، وأن يترك الباقي لمعارك مستقبلية محتملة.

خاتمة

وفي الأخير نصل إلى أنّ البيزنطيين خاضوا حربا كان لهم حظّ الفوز فيها، واعتبروا ذلك عناية إلهية أكثر من حسابات الحرب، ونجوا ممّا حاق بهم قبل أربع سنوات[25] وجرح يوضاس وانكسر جيشه وفقد ثروته، وأجبرته الظروف على اللجوء إلى موريتانيا، لكن بعد خمس سنوات من ذلك التاريخ سيعود للظهور من جديد على مسرح الأحداث، ويكوّن تحالفا قويّا مع أنطالاس وكوسطيناس (Couztinas)، يزحف به على قرطاج ويداهم أسوارها، ويتمكّن من الإيقاع بالبيزنطيين ولكن الهدوء سيعود إلى أفريقيا بعد ذلك، ولعلّ الديبلوماسية حلّت محلّ القوّة العسكرية، وتحصّل المور على "تنازلات" بيزنطية [26]، ولعلّ سياسة الترضية البيزنطية لم توافق طموح يوضاس لأنّ بروكوب يتحدّث عن خلاف بينه وبين أنطالاس، ولكن بروكوب لا يضيف أيّ شيء، ويلفّ المنطقة الأوراسية الغموض، ولا بدّ من انتظار أكثر من قرن لتظهر هذه المنطقة من جديد على مسرح الأحداث، ومع ذلك فإنّ هذا التقطّع في الأخبار التاريخية لا يمنع من اعتبار كسيلة وريثا لطموحات يوضاس السياسية.

وعموما فإنّ ما يهمّ هو أنّنا حاولنا من خلال نصّ بروكوب استخلاص جوانب من الأوضاع التي كانت تمرّ بها هذه المنطقة الجبلية وتتبّع نزعة شعبها الجبلي نحو الاستقلال في تلك المراحل المضطربة من التاريخ الأفريقي، أي تواصل سياسة استقلالية قائمة على أسس جغرافية- اقتصادية- سياسية، نضجت بظهورها في شكل إمارة أهلية كاملة الاستقلال حتّى باغتها الفتح العربي.

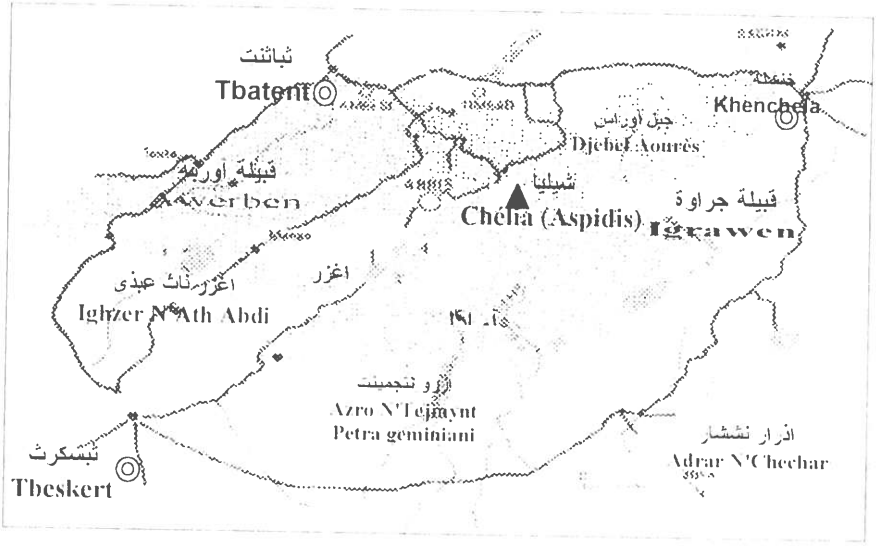

المنطقة الجبلية الأوراسية

هوامش وتعاليق

[1] يبدو لنا أنّ اسم أوراس، مأخوذ من الكلمة الإغريقية: (Ores) التي تعني الجبل، ومنها (Oréade) وهي في الأساطير الإغريقية حورية تسكن الجبال.

[2] بروكوب مؤرّخ بيزنطي ولد بقيسارية(Césarée)في فلسطين في نهاية القرن الخامس الميلادي، وتوفي بالقسطنطينية حوالي562 م. وهو مؤرّخ الحملة البيزنطية التي أرسلها يوستينيانوس إلى أفريقيا لاستردادها من الوندال، وقد اعتمدنا على كتابه:الحرب الوندالية، طبعة ليبزيغ :

-Guerre Vandale, trad. et commenté par Haury(J.),avec Addenda et Corrigenda de Wirth(G.),Leipzig 1972.

[3] كوريب معاصر لبروكوب، هو شاعر ملحمي، تغنّى خاصّة بانتصارات البيزنطيين في أفريقيا.

[4] رجعنا في هذا الموضوع إلى أبرز الباحثين المعاصرين المهتمّين بالتاريخ البيزنطي بأفريقيا، وهم:

- Diehl (Ch.), l'Afrique Byzantine, Paris 1896 ; -Carcopino(j.), Un Empereur Maure inconnu , d'après une inscription latine récemment découverte dans l'Aurès, R.E.A., T. 46, 1944,pp. 94-120. ; - Encore Mastiès, l'Empereur Maure inconnu, R. AF.T.100,1956.pp.339-348 ; - Courtois (Chr.), Les Vandales et l'Afrique, Paris 1955. ; -Desanges (j.), Les Témoignages peu connue de Procope sur la Numidie Vandale et Byzantine,T. 33, pp 42-69 ;- Catalogue des Tribus Africaines dans l'Antiquité Classique à l'Ouest de NIL , DAKAR 1962.

[5] المور(Mauri) اصطلاح قديم ظهر منذ القرن الخامس ق.م.في كتابات الإغريق ثمّ اللاتين، وكان في البداية يُطلق على سكّان أقصى بلاد البربر ما بين وادي ملوية والمحيط الأطلسي ثمّ توسّع مدلوله ليشمل الماسيسيل الذين ضمّهم أرضا وشعبا الملك بوكوس الأول في نهاية الحرب بين الرومان والمملكة النوميدية، وفي الفترة البيزنطية أصبح يشمل كلّ الأفريقيين من طرابلس إلى المحيط، وهو الاسم الذي أطلق فيما بعد على مسلمي الأندلس لأنّهم عبروا أعمدة هرقل من موريتانيا، وخلال الفترة الاستعمارية الحديثة في شمال أفريقيا أُطلق على الحضر من الأهالي، ثمّ أحيته الجغرافيا السياسية حديثا ليطلق على ما كان يسمّى شنقيط (جمهورية موريتانيا الحالية) للتوسّع أكثر يُراجع : - Gsell (S.), H.A.A.N., V. p. 88-90.

(6) لا ريب أنّ استقرار الإغريق طويلا في قورين قد ترك العديد من الأساطير عن المنطقة وعن سكّانها واعتبار الشعب الأفريقي من اسيا الصغري جزء من تلك الأساطير.

(7) وردت هذه الإشارات متفرّقة في عدّة فقرات، أنظر: - B.V., 8, 5- IV, 13, 22-25

(8) يبدو أنّ القوّة البشرية منذ العهد الروماني تركّزت حول خطّ الليمس، بعد أن أجلى الاحتلال الروماني السكّان من أراضيهم، ومنحها للمعمّرين الرومان، وطبيعي أن تظلّ المنطقة الحدودية تلك نقطة، احتكاك واصطدام بين قوى التحرير الأهلية والمعسكرات الرومانية.

9- Courtois (Chr.), les Vandales et l'Afrique, Paris 1955,pp. 341-42.

(10) دافع لويس رينّ عن فكرة استعمال التوبونيميا (Toponymie) المحلّية الحديثة كمفتاح لفهم الجغرافيا القديمة وعلى الخصوص في المنطقة الأوراسية التي لم تفقد لغتها المتفرّعةعن اللغة الليبية وباعتباره من المتبربرين(Berbérisants) الروّاد يعارض تيسو صاحب جغرافية أفريقيا الرومانية المقارنة ولذلك تراه يجري مقاربة بين كلمة تومار وكلمة سومار أو ايسومار وهي صيغة جمع للمفرد سامّر أو أسامّر (Sammer ou Asammer) أي سفح الجبل المقابل لمشرق الشمس وهي الكلمة التي تستعملها قبيلة سراحنا في مقابل كلمة اقبلي التي تستعملها قبيلة بوسليمان،أنظر :

-RINN (L.),Géographie ancienne de l'Algérie, dans Revue Africaine, XXXVII, 1893, pp. 323-324.

(11) بابوسيس هو المكان الذي دارت فيه وقائع المعركة التي خاضها الجبليون الأوراسيون ضدّ الغزو البيزنطي بقيادة سولومون سنة 589 م.،وقد حاول رينّ أن يجري مقاربة لتحديد هذا الموقع، بين كلمتي بابوسيس القديمة ويابوس الحديثة التي يرى بأنّهما من أصل اشتقاقي واحد لأنّه بحذف الزوائد (le préfixe B. et le suffixe is) في بداية ونهاية الأول لا يبقى إلاّ الثاني، نفسه ص309.

(12) كما أجرى نفس الباحث مقاربة بين اسم زربولة وإغزر أملال (Ighzer A mellèl)، وعلى العموم فإنّه أثرى مقاربته بمفردات من كلّ لهجات اللغة الأمازيغية،أنظر المرجع نفسه،ص ص309-318.

(13) ما نلاحظه من تقارب بين ماسكوري (Masqueray) – وهو باحث من فترة الاستعمار الفرنسي – وبروكوب، ملفت للانتباه ممّا يدلّ على أنّ الباحثين المحدثين (خاصّة أولئك الذين كرّسوا أعمالهم لخدمة الإدارة العسكرية الاستعمارية) اقتفوا أثر القدامى. ومع ذلك فإنّهم لم يوفقوا في تحديد القلاع التي تحصّن فيها الملك يوضاس، ما عدا جمنة التي تقع في إقليم دوّار سيدي المصمودي (ولاية بسكرة) في سفوح أوراس الجنوبية مقابل الزاب الشرقي.

14 - B. V. IV, 19, 20.

(15) قلّة الماء جعلت صولومون يشرف بنفسه على تسيير احتياطي ماء الشرب، وكان يوزّع بنفسه حصّة كلّ يوم بمعدّل لتر للرجل الواحد، وهي كمّية قليلة جدّا تحت شمس الصيف الأوراسي القائظ . B.V. , IV, 20, 3.-

(16)- B. V., IV, 11, 9-12.

(17) عن العلاقة بين السهل والجبل في أفريقيا القديمة يُراجع:

-LEVEAU (Ph.), L'Opposition de la montagne et de la plaine dans l'Historiographie de l'Afrique du nord antique, Annales de Géographie, T 86, 1977, pp. 201-205.

(18) على العكس من كاركوبينو الذي يحاول مقابلة المور المتوحّشين(أي الذين لم يحتكّوا بالحضارة الرومانية) بالمور المتمدّنين، أي المترومنين:
Carcopino(J.) Un empereur , pp. 115.

(19) ورد اسم هذا الوادي في نصّ بروكوب هكذا: أبيقاس Abigas في (B.V , IV, 13,20) وأميقاس Amigas في(B.V ,IV,19,7) الواضح أنّ النسّاخ هم الذين حرّفوا الاسم ولا ندري أهو وادي بوغوقوال (Oued-Boughougwel) الذي ينزل من جبل جحفة ويمرّ بمحاذاة خنشلة، أم هو وادي الشمرّة الذي ينزل من شلية باتّجاه سهل "الشارع"

(20) بالغ بروكوب في تصوير بؤس سكّان جبل بابوا(Papua) [من المرجّح أن يكون جبل إيدوغ المطلّ على بونة]، لإظهار تخلّف المور، فكيف نفسّر ذلك وقد كان معيار التمدّن عند مؤرّخي الحقبة الكولونيالية هو مدى الاحتكاك بالحضارة الرومانية،وهذا الجبل هو في صميم المنطقة التي دام فيها الاحتلال الروماني ما يزيد عن خمسة قرون!.

21- B. V , 11, 13.

(22) وهي الطروحات التي بنى عليها المؤرّخان جدولا زمنيا لهذه الممالك البربرية في القرن السادس. كما حاول ماسكوري وضع نظرية تقسيم أوراس إلى شرقي هو بلاد النمامشة من خنشلة إلى الحدود التونسية، وغربي من خنشلة إلى الحضنة ويفصل بينهما الوادي المسمّى حاليا في مجراه الأسفل واد الاعراب Oued-Larab. أمّا فكرة العدو الوثني فهي في الغالب فكرة تعبوية، لأنّ من شأنها أن تجعل المحارب البيزنطي ذا معنويات عالية وفوق ذلك تسوّغ له ما يرتكبه من تنكيل بشع، بل تجعله يعتقد بأنّ الله يبارك أعماله تلك ولا ريب أنّ القيادة البيزنطية كأيّ استعمار اخر، وظّفت هذه الفكرة جيّدا.

(23) لا ندري كيف يجزم هؤلاء بفكرة ولاء المسيحي لروما، مع أنّهما (كاركوبينو وكورتوا) يعرفان جيّدا بأنّ المقاومة البربرية ضدّ روما كانت مقاومة مسيحية في الأساس، وعندما تمسّحت روما استمرّ البرابر في مقاومة روما تحت لواء الدوناتية، وكانت المنطقة الأوراسية معقل تلك المقاومة، فكيف يمكن اعتبار الوفاء للمسيحية وفاء لروما في هذه المنطقة ! .

24 B.V , IV, 19, 19 , - Diehl (Ch.), op. Cit. pp. 312-319.

(25) - B.V , IV, 1-21 . ومن المفيد للانتباه أن خطّة تخزين مياه الري في خزّاناتها، ثمّ إطلاقها في وقت واحد لتغمر معسكر البيزنطيين وتغرقه استمرّت في ذاكرة البرابر، فقد استعملتها قبائل عيدون وبني تيلان وبني فرقان... حديثا في ثورتها على باي قسنطينة بقيادة ابن لحرش، فأغرقت جيش الباي بنفس الطريقة التي استعملها اسلافهم ضدّ البيزنطيين .أنظر : - Féraud (H.), Zebouchi et Osman Bey, dans Revue Africaine, , VI, 1862, pp. 120-127.

(26) -B. V , III, 15, 3-9.